جامعة تربيت معلم

كلية الآداب العلوم الإنسانية

مضامين الرومانسية في ديوان أبي القاسم الشابي

بحثٌ مقدّمٌ لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

الأستاذ المشرف:

الدكتور حامد صدقي

الأستاذ المشرف المساعد:

الدكتورة صغرى فلاحتي

إعداد:

فاطمة فتح اللهي

عام:

١٣٨٨ ه.ش

٢٠١٠م

الاهداء

ـــ إلى أبي وأمي الحنونين اللّذين سهّلا لي صعوباتِ الحياة بعاطفتهما ومحبتهما

ـــ إلى زوجي العزيز الذي شجّعني في طريق إكتساب العلم.

التقدير:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ونبيّنا الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم.

أمّا بعد، أرفع أسمى آيات الشكر والتقدير إلى أستاذي الجليل الدكتور حامد صدقي الأستاذ المشرف على هذه الرسالة، الذي ساعدني في كتابتها بآرائه الهادية وإرشاداته القيّمة ونصائحه البنّاءة، طوال دراستي في هذه المرحلة، فكان لي مثالاً عالياً في علمه وخُلقه، في شفقته وإخلاصه. ثم اتقدّم كذلک بجزيل الشكر ووافر التقدير إلى أستاذتي الفاضلة الدكتورة صغرى فلاحتى التي مَنَّتْ عَلَيَّ بتوصياتها الرشيدة وملاحظاتها السديدة، وأخيراً أشكر أساتذتي في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة «تربيت معلم بتهران» الذين ساعدوني في طريق إكتساب العلم.

الفهرست

العنوان **الصفحة**

مقدمة .....

الفصل الأول: «الإتجاه الرومانسي في الأدب الغربي والأدب العربي» ١

مدخل: ٢

أولاً: الرومانسية في الأدب الغربي..... ٣

أ- الاشتقاق اللغوي لكلمة الرومانسية ٣

ب -الفرق بين النزعة الرومانسية والمذهب الرومانسي ٥

ج – المذهب الرومانسي ٧

د – مقارنة بين الكلاسيكية والرومانسية ٩

هـ – الرومانسية في الأدب الغربي وعوامل نشأتها ١١

ثانياً: الرومانسية في الأدب العربي..... ١٥

أ – الرومانسية في الأدب العربي الحديث ١٥

ب – خليل مطران رائد المدرسة الرومانسية ١٨

ج – روافد المدرسة الرومانسية في الأدب العربي الحديث ٢١

١- مدرسة الديوان..... ٢١

٢- جماعة أبولو ٢٣

٣- مدرسة المهجر..... ٢٤

١-٣- الرابطة القلمية..... ٢٥

٢-٣- العصبة الأندلسية ٢٦

د- موضوعات الرومانسية في الأدب العربي الحديث..... ٢٧
١- الطبيعة..... ٢٧
٢- الحب..... ٢٩
٣- الإحساس بالغربة ٣٠
٤- الثوره الإجتماعية والقومية..... ٣١
٥- الدين..... ٣٢
الفصل الثاني: «حياة الشابي وآثاره ومميزات شعره» ٣٤
تمهيد ٣٥
جغرافية تونس..... ٣٥
أولاً: البيئة السياسية والإجتماعية والثقافية في تونس ٣٦
أ – البيئة السياسية..... ٣٦
ب – البيئة الاجتماعية ٣٧
ج – البيئة الثقافية..... ٣٧
ثانياً: حياة الشابي..... ٣٩
أ – مولده ٣٩
ب – نشأته ودراسته..... ٤٠
ج – العوامل المؤثرة في كآبة الشابي ٤٤
د – شخصية الشابي ٤٨
هـ – مرض الشابي ٤٩
و – وفاة الشابي..... ٥٠

ثالثاً: مميزات شعر الشابي ٥٢
أ – نزعة الشابي الأدبية..... ٥٢
ب – شعر الشابي وأسلوبه ٥٣
ج – العوامل المؤثرة في شعر الشابي..... ٥٦
١– شده الحساسية ٥٦
٢– قوة الإرادة..... ٥٧
٣– النزعة الصوفية..... ٥٧
٤– روح التمرّد والثورة..... ٥٧
د – أثر الأدب المهجري على شاعرية الشابي ٥٨
هـ – أبوالقاسم الشابي مظهر التجديد ٦٣
و – نثر الشابي ٦٥
رابعاً: آثار أبي القاسم الشابي..... ٦٧
أ – أغاني الحياة..... ٦٧
ب – الخيال الشعري عند العرب..... ٦٧
ج – رسائل الشابي ٧١
د – يوميات الشابي..... ٧٢
هـ – شعراء المغرب الأقصى ٧٣
و – الهجره النبوية ٧٣
ز – مقالات مختلفة ٧٣
ح – جميل بثينة ٧٤

ت: مسرحية السكير ٧٤

ي: مقدمة ديوان الينبوع لأحمد زكي أبي شادي ٧٤

الفصل الثالث: موضوعات الرومانسية في ديوان أبي القاسم الشابي ٧٧

أولاً: موضوعات الرومانسية في ديوان الشابي ٧٧

أ – الطبيعة..... ٧٨

ب – الحب..... ٩٤

ج – الثورة الإجتماعية والقومية..... ١٠٥

د – الدين ١٣٠

هـ – الإحساس بالغربة ١٤٣

ثانياً: الصور الشعرية ١٥٢

أ – التشبيه..... ١٥٢

ب – الإستعارة ١٥٢

الخاتمة ١٥٨

ملخص البحث باللغة الفارسية ١٦٤

ملخص البحث باللغة الإنجليزيّة..... ١٦٥

فهرس الأعلام ١٦٦

فهرس المصادر والمراجع..... ١٧٤

مقدمة:

كانت نشأة التيار الرومانسي الذي ظهر في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر في أوروبا من تلك التطورات التي تعرض الأدب لها في القرن الحديث. فإنّ الرومانسيّة تعتبر ثورةً في طريقة الإحساس والتفكير والتعبير، إنّها ثورةٌ ضدّ القيود التي فرضتْها الكلاسيكيّة، انّها ثورةٌ أثمرت عن ظهورِ أدبٍ ذاتٍ متحررٍ؛ فالشاعر الرومانسي يعبّرُ عن ذاته وأحلامه، عن حُبّه وبغضه ، عن فرحه وألمه، عن تطلّعاته السياسيّة والإجتماعيّة والثقافية، بحريّةٍ تامّةٍ، دون الاعتناء بالأعراف السائدة.

والرومانسية عندما وصلت إلى العالم العربي كان عهد ازدهارها قد إنقضى في البلاد الأوروبيّة، لكن العالم العربي كان يمرّ بمرحلةٍ من تاريخه تتمثل في ظروفه السياسية والإجتماعيّة والثقافية المتدهورة، حيث الإستعمار الغاشم والحاكم المستبد، والفقر، والجمود، والإنحطاط، ولهذا لم يبعد الأدب العربي عن هذا التيار الرومانسي وأقبل عليه أدباء العرب بحكم ماكانت تقتضيه روح الشعر الحديث ودعوا إلى تحرير الشعر العربي من القيود المتبعة وإلى هدم الحواجز وإزدهار الشعر وتطعيمه بمذاهب الشعر الغربي ومن هؤلاء أدباء العرب الذين رغبوا في التجديد هو الشاعر أبوالقاسم الشابي الذي ماكان شاعراً عصرانياً فقط بل كان شاعراً كلاسيكيّاً أيضاً. وتبدأ حياته الفكريّة والأدبيّة منذ التحق بجامعة الزيتونيّة حيث عكف على قراءةِ الآثار الأدبية القديمة والآثار الجديدة ومنها أدب المهاجرين كجبران وأبي ماضي ونعيمه وقرأ لروّاد الأدب الحديث ومن بينهم أحمد شوقي وحافظ ابراهيم وخليل مطران وأحمد زكي أبي شادي والعقّاد وسواهم وكانت مطالعاته كثيرةً في الأدب الحديث بالمهجر الأمريكي واستبد به أسلوب جبران وهو شابٌ صغيرٌ في رقّة إحساس وإشتعال عاطفة وسمر خيال، وفي تفاؤلٍ وإيمان بالحياة. هو أيضاً تأثّر بالقدماء كالمعرّي وابن الرومي والخيام وابن الفارض وكان شعره يتّسم بقوةِ التعبير وبراعةِ العرض والتصوير ومتانة الأسلوب وقوة سمو في الخيال. وكان شعره صوتاً أصيلاً عَبَّرَ عن شخصيته في قوةٍ وذاتيةٍ متفردةٍ وكانت ثورةُ الشابي ثورةً عنيفةً عارمةً ولكنّها لم تفقد احترامها وتقديرها للقديم وهو يشعر بأهميّة الدور الذي أدّاه هذا الأدب ولكنّه كان يدعو إلى شعرٍ يعانق التجربة الحديثة للإنسان العربي الحديث ويعبّر عن تجربته التي يخوضها في وجوده المعاصر ويبحث عن تلائمٍ بين الحياة التي نعيشها والتعبير عنها ويبحث عن اضافةٍ ابداعيةٍ والإبداع لميتم إلّا بالتجاوز والتخطّي للقديم.

وهكذا قد إستطاع الشابي أن يمثّل المذهب الرومانسي في شعره أحسن تمثيل، وأن يصبح عبقريّاً من عباقرة الشعر الرومانسي في العالم العربي. وهذه العبقريّة تتجلى في عمق شعور الشابي وثراء موضوعاته وجدّة تصويره، ووحدة قصيدته وتفوّهه بأبيات أصبحت شعاراً للكثيرين من الأحرار،وهي التي دفعتني لدراسة حياته و أدبه. والغايةُ من هذه الدراسةِ الوقوفُ على مكانة الشابي الشعريّة وتسلّطه على مضامين الرومانسية من خلال معالجة أشعاره في ديوانه ودراسة حياته وأوضاع مجتمعه السياسيّة والفكريّة والإجابة عن الأسئلة التالية:

١- إلى أي مدى تأثر الشابي بالمذهب الرومانسي؟

٢- أيُّ مضمونٍ من مضامين الرومانسية غلب على أشعاره؟

وقد قامت هذه الرسالة على ثلاثةِ فصولٍ، توزّعت على النسق التالي:

ـــ الفصل الأوّل: «الرومانسيّة في الأدبين الغربي والعربي» وقد عالجت الرومانسية في هذا الفصل من نواحي مختلفة، وأشرت في هذا الصدد إلى جذور الرومانسية في الغرب وإلى الفرق الموجود بين الرومانسية كنزعةٍ وبين الرومانسية والكلاسيكية والعوامل التي أدّت إلى انتشار الرومانسيّة في أرجاء مختلفة من العالم. ثم انتقلنا إلى دراستها في العالم العربي وروادها في الأدب العربي وركّزنا فيها على المدارس الأدبيّة الحديثة المتمثلة في مدرسة الديوان، ومدرسة المهجر وجماعة أبولو. بعد ذلك ينتهي الفصل الأول بدراسة مضامين الرومانسيّة العربية كالطبيعة والحب والإحساسن بالغربة و... كل ذلك حتى يتسنى للقارئ أن يتعرف المذهب الرومانسي وأهم أركانه وعناصره.

ـــ الفصل الثاني: «دراسة حياة الشاعر أبي القاسم الشابي وآثاره» وقد تضمّن هذا الفصلُ، الأوضاعَ السياسية والإجتماعيّة والثقافية في تونس، ولقد ركّزنا على الفترة الزمنية التي كانت فيها تونس تحت حكم الإستعمار الفرنسي الغاشم، وهي الفترة التي عاش فيها شاعرنا الشابي. وقد اشتمل هذا الفصل أيضاً على ثمانيةِ مباحثٍ: المبحث الأوّل: ميلاد الشاعر ونبذة قصيرة عن تاريخ عائلته والمبحث الثاني: نشأته وتطوّر حياته العائلية والمدرسيّة والإجتماعيّة، المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في كآبة الشابي والمبحث الرابع: مميزات شعر الشابي وأسلوبه ونثره وتجديده، المبحث الخامس: العوامل المؤثرة في شعر الشابي، المبحث السادس: أثر الأدب المهجري على شاعرية الشابي والمبحث السابع: وفاة الشابي، المبحث الثامن: آثار الشاعر منها: «أغاني الحياة» و «الخيال الشعري عند العرب» و «رسائل الشابي» و «يوميات الشابي» و «شعراء المغرب الأقصى» و «مقالات مختلفة» و «جميل بثينة» و «مسرحية السكير» و «مقدمة ديوان الينبوع لأحمد زكي أبي شادي». الفصل الثالث: مضامين الرومانسية عند الشابي. لقد شكّل هذا الفصل مرتكز البحث وأساسه، حيث عالجنا فيه مضامين الرومانسيّة في ديوان الشابي وقد قسّمنا هذه المضامين على خمسة محاور.

المحور الأوّل: الطبيعة، وقد أشرنا فيه إلى أنّها كيف تجلّت في ديوان الشابي.

المحور الثاني: الحُبّ، فقد أبان لنا في هذا القسم عن مكانة الحب في شعر الشابي.

المحور الثالث: الحرية، والثورة الإجتماعية والقوميّة، قد انطوى هذا القسم على مواقف الشابي الإصلاحية وكفاحه ضدّ الإستعمار والغزو الفرنسي من جانبٍ وتخلّف شعبه وجموده من جانب آخر.

المحور الرابع: الدين، وتضمّن هذا القسم على موقف الشابي أمام الموت ودعوة الناس إلى التعجّل بموتهم والخلاص من الخطوب والمصائب.

المحور الخامس: الإحساس بالغربة، وأشرنا في هذا القسم إلى تجلّي وظهور هذا الإحساس في الشعور بالكآبة والألم والتشاؤم.

أمّا الدراسات السالفة ــ مع كثرتها ووفورها ــ حول الشابي وشعره لم تسلّط الضوء على مضامين الرومانسية عند الشابي بصورةٍ واضحةٍ وأنا في دراستي هذه بذلتُ ما بوسعي لتوضيح وشرح مضامين الرومانسية عند الشابي بصورةٍ يسهل على القارئ تلقّيها. وقد واجهتُ الصعوبات في طريق البحث منها: قلّة المصادر والمراجع وعدم حصولي على المراجع التي تناولت مباشراً هذا الموضوع ومع هذا اعتمدتُ على خمسين مصدراً ومرجعاً أهمّها:

ــ ديوان أغاني الحياة: أبوالقاسم الشابي، وقد كان المصدر الرئيس لرسالتي هذه.

ــ الرومانتيكيّة: محمد غنيمى هلال.

ــ الرومنسيّة في الشعر الغربي والعربي: ايليا الحاوي.

ــ دراسات في الأدب العربي الحديث: محمد عبدالمنعم خفاجي.

ــ الشابي حياته وشعره: أبوالقاسم محمد كرو.

ــ أبوالقاسم الشابي «ملامح الموت والحياة في شخصية الشابي وشعره»: جان طنوس .

وأخيراً يجب أن أقدّم وافر شكري إلى أستاذي العزيز الدكتور حامد صدقي الذي تولى الإشراف على رسالتي وأفادني بآرائه الهادية، كما أشكر مساعي الأستاذة الدكتورة صغرى فلاحتي التي ساعدتني بإرشاداتها القيّمة في إتمام البحث، الأستاذين اللّذين شجّعاني في طريق إكتساب العلم.

الفصل الأوّل

الإتجاه الرومانسي

في الأدب الغربي و الأدب العربي

مدخل:

لقد ظهرت الرومانسية في أوروبا كمذهب أدبيّ له ميزاته الخاصّة ويقوم على أسس فلسفية و نقديّة في نهاية القرن الثامن عشر، و ظلّت سائدة ومسيطرة على الأدب الأوروبيّ طوال القرن التاسع عشر. والرومانسية لم تقتصر على أوروبا فحسب بل تعدّتها إلى سائر أنحاء المعمورة و وصلت إلى العالم العربي و أقبل عليها الأدباء العرب بحكم ما تقتضيه روح العصر الحديث ودعوا إلى تحرير الشعر العربي من القيود المتبعة و إلى هدم الحواجز التي تحول دون تقدمه وازدهاره وإلى تطعيمه بمذاهب الشعر الغربي. من هؤلاء الشعراء الذين رغبوا في التجديد هو الشاعر أبوالقاسم الشابي الذي تأثر بالمذهب الرومانسي. ولهذا قبل أن نتحدث عن الشاعر أبوالقاسم الشابي وتأثره بالمذهب الرومانسي يجب علينا أن ندرس «الرومانسية في الأدبين الغربي والعربي» وعوامل نشأتها في الأدبين ونبحث عن المدارس الأدبية الرومانسية العربية ومضامين الرومانسية العربية.

أولاً: الرومانسية في الأدب الغربي

أ–الإشتقاق اللغوي لكلمة الرومانسية

اختلفت الأقوال في نسبة اللفظة واشتقاقها اللغوي ولكنها على الأرجح، مأخوذة من جـــذرها الأصـــلي «Roman» بمعنى القصة الخيالية الطويلة، أو إحدى القصص المخاطرة والمغامرات التي سادت في القـــرون الوسطى شعراً أو نثراً.[1]

وعن هذا الجذر، تفرعت وتطورت كلمات و أوصاف أخرى، في مختلف اللغات الاوربية وانتقلت هـــذه الكلمة «Roman» إلى اللغة الإنجليزيـــة في شـــكل «Romaunt»، ثم نســـب إليهـــا في الإنجليزيـــة «Romantic» وهي صفة تدل على ما ينسب إلى قصص المخاطرات، أو ما يثير في النفس خصائصها وما يتصل بها. وظلّت الكلمة في الإنجليزية تثير في الذهن منظراً أوأثراً من آثار العصور الوسطى، ومنذ عام ١٧٦٠ كان كثير من مؤرخي الأدب يذكرونها مقابلةً لكلمة الكلاسيكي، وانتقلت هذه الصفة إلى اللغـــة الألمانيـــة «Romantisch»، فكان معناها ما يمت بصلةٍ إلى عالم الفروسية في العصور الوسطى أويثير ذكـــراه.[2]ثم انتقلت تلك الصفة إلى اللغة الفرنسية بشكل «Romantique» أولاً في أدب جان جاك روسو، حيث يقول: «شطّان بحيرة بين وحشية رومانتيكية أكثر من شطّان بحيرة جنيـــف» ثم يـــذكر ســـبب الوحشـــية الرومانتيكية في بحيرة، بيّن بأنّ الصخور والغابات فيها أكثر متاخمةً واتصالاً بالماء. وكانت تطلق هذه الصـــفة على المناظر والأشخاص التي تذكر بالقصص أكثر مما تطلق على الأحداث التي تحكى في القصص. وكان ويلهم شليجل «A.w.schlegel» أول من بدأ بمعارضة الرومانتيكية بالكلاسيكية على أنهـــا اتجـــاهٌ جديـــدٌ في

١– ياسين الأيوبي: *مذاهب الأدب (معالم وانعكاسات)*. دارالعلم للملايين، بيروت_ لبنان، الطبعة الثانيـــة، ١٩٨٤م، ص ١١٩.

٢– محمد غنيمى هلال: *الرومانتيكية*. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، لاط، لات، ص ٣–٤.

الأدب. وتأثرت به مدام دي ستال، فدعت إلى الرومانتيكية في فرنسا بأنها الشعر الذي يحيا فيه الماضي الوطني، وأنها أدبُ الفروسية. وبهذا المعنى انتقلت الكلمة إلى إيطاليا حوالي عام ١٨١٥، ثم إلى أسبانيا.[١]

ثم بعد ذلك تطورت معنى الكلمة حتى شملت هيجان العاطفة، والإستسلام للمشـــاعر، والإضـــطراب النفسي، والفرديّة والذاتية، وتمثلت هذه الإتجاهات في الأدب الرومانتيكي.

وهكذا تشعبّت معاني الرومانتيكية وتعددت طرقها على حسب الآداب الأوربية المختلفة بـــل اختلفـــت كذلك باختلاف الأشخاص، حتى قيل: إن «هناك أنواعاً من الرومانتيكية بعدد الرومانتيكيين».[٢]

١- م. س: ٣-٤.

٢- م. س: ٣-٤.

ب- الفرق بين النزعة الرومانسية والمذهب الرومانسي:

قبل أن نتطرق إلى الفرق الموجود بين النزعة الرومانسية والمذهب الرومانسي علينا أن نفهم معنى النزعة والمذهب من حيث اللغة.

تكون النزعة مصدراً من نَزَعَ بمعنى« المَيْل[1]»، نزعَ إلى الشيء بمعنى مالَ بالشيء أمّا كلمة المذهب مصدرٌ أُخذ من فعل «ذهب» والمَذهب: هو المعتَقَدُ الذي يُذْهَبُ إليه و«ذَهَبَ فلانٌ لِذهبه» أيْ لِمذهبه الذي يَذهَبُ فيه والمذهب يكون بمعنى المسلك والطريق أيضاً.[2]

والآن نريد أن نبيّن الفرق بين النزعة الرومانسية والمذهب الرومانسي لأن الفهم الصحيح لمفهوم الرومانسية يترتّب على الفهم الصحيح لهذين المصطلحين.

إن الرومانسية تعود جذورها إلى العصور القديمة بشكل «النزعة الرومانسية» ثم تنطلق من جديد مع الأعمال الأدبية الخيالية التي ظهرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ميلاديين، حيث كان لها معناً بالنسبة إلى قصص القرون الوسطى ورواياتها.[3] وهكذا تكون النزعة الرومانسيةُ قديمةً في تاريخ الآداب والفنون، لأنها تكون من النفس البشرية جزءاً أصيلاً تصير النفس أكبر فقراً إذا حرمته حرماناً تاماً. وهي تتجلى منذ القدم في شتى الأغاني والأشعار والقصص والحكايات والمقطوعات الموسيقية والتماثيل والرسوم. ثم هي نزعة تغلب على كل فرد إنساني في مرحلة ما من مراحل تطوره، فلابد لها في كل عصر من أدب و فن يصورانها. وهذا التصوير يتخذ أسلوباً ينسجم مع أحوال العصر المادية والثقافية يختلف بين عصرٍ و عصرٍ.[4]

إذن فالنزعة الرومانسية ليست حديثة الظهور، بل إنها قديمة في الأدب الأوروبي والأدب العربي و يقول الدكتور إحسان عباس: «إن الروح العربية في العصور السابقة كانت مفعمة بالرومانسية، وإن روح بعض الشعراء حيال حبّهم وحنانهم كانت عاتيةً، وكان القلق من جرائها أشدَّه؛ ولكننا قلّما نجد الأدباء عبّروا عن هذه الروح الرومانسية في أدبهم بسبب تقيّدهم إلى حدّ بعيدٍ بالمورث الأدبي، والذوق العام، والنظرية النقديّة،

١- الدكتور إبراهيم أنيس و آخرون: *المعجم الوسيط*. المكتبة الإسلامية، لاط، لات، ج ٢، ص ٩١٣.

٢- الإمام العلامة ابن منظور الإفريقي: *لسان العرب*. نسقه وعلق عليه على سيرى، دارإحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨م، ج٥، ص ٦٦.

٣- فايز ترحيني: *الأدب أنواع و مذاهب*. النخيل، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ١٠٨.

٤- محمد النويهي: *قضية الشعر الجديد*. دارالفكر، بيروت _ لبنان، لاط، ٢٠٠٠م، ص ٤١٠.

وأنّ أكثر العصور رومانسية هو العصر الاموي بشقّه العذري فقط[1] ويقول إيليا الحاوي أيضاً: «إن النظرية الرومانسية بدأت تعى ذاتها في مطلع القرن التاسع عشر وبالتحديد بين عامي ١٨٢٠ و ١٨٥٠ فيما كانت النزعة الأساسية التي تصدر عنها مطبوعةً وقائمةً في النفوس منذ أقدم العصور. والمذاهب الفنية لاتستجدّ بذاتها في عصر، وإنما ينهض العقل إليها ويعيها بوعيه، أو أنه يستخرجها من غفلتها، فتذيع فيه وتنتشر، وإنما كانت من قبل إذ لا جديد بكراً في الفن، وإنما كانت مبذورةً بذوره في الآثار القديمة. إلا أن وعي العقل له في زمن معين يطلقه ويوشک أن يعمّمه في الناس. والرومانسية هي من الطباع الأولى التي ارتمست في الفن لأنها الأدنى إلى الذات البديهية المباشرة، وإلى البداوة الأولى، حيث كان الإنسان يتقبّل الوجود بانفعاله وخياله ورؤياه من دون عقله ومنطقه وحدوده المحدودة. ويمكن القول إن الرومانسية هي النزعة المباشرة للنفس في حدسها الأول حين كانت تنفعل بالوجود وتعانقه، وقبل أن تثبته وتضعه في الأطر وتعتكف عليه لتفهمه والإنسان أحسّ بروح الكون قبل أن يفهمها. وقد ما تعتبر تلک المرحلة مرحلة الرومانسية الأولى ورومانسية القرن التاسع عشر هي مرحلة الرومانسية الثانية، والتي فقدت نشوة الرومانسية الأولى وبراءتها وذهولها وحلوليتها وتقمصها لضمير المظهر من التوحد بين الذات والموضوع توحداً واقعياً في طبيعة النفس. ومعظم الآثار البدائية التي أوفت إلينا من عهدها الأول، أكان ذلك من مخلّفات الأناشيد والمزامير، يقع في حدود تلك الرومانسية الذاهلة التي غنّت العواطف وعانقت روح الكون واهتدت إليه بالحب والنشوة والتعامل والتفاعل وربما الألم والكفاح.[2]

أما «المذهب الرومانسي» فحركة تاريخية معينة شهدتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر، نشأت استجابة طبيعية صادقة لعوامل وظروف محددة استدعت ثورة أوروبا على النيوكلاسيكية التي سيطرت عليها بعد عصر النهضة واستكملت تلک الحركة طريقةً فنية خاصةً وقاموساً شعرياً خاصاً، وأنتجت عدداً من الشوامخ في الشعر والقصص والدرامة والفنون بلغ فيها الخلق الفني الإنساني ذرى متميزة.[3]

١- ياسين الأيوبي: *مذاهب الأدب «معالم وانعكاسات»* ص ٢٥٤ - ٢٥٥

٢- إيليا الحاوي: *الرومانسية في الشعر الغربي والعربي*. دارالثقافة، بيروت ــ لبنان، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م، ص ٧-٨

٣- محمد النويهي: *قضية الشعر الجديد* ص ٤١٠.

ج- المذهب الرومانسي:

تعددت الإجتهادات في عصر النهضة من أجل أن تضع ما يمكن أن يسمى تعريفـاً، أو مفهومـاً عامـاً للمذهب الرومانسي الذي بدأ يرى النور في بلاد الغرب، وقد كثرت هذه الدراسات واتسـعت في محاولـة لتحديد الإطار العام لهذا المذهب الفني، وإن كان من الصعب حصر وتقييد الرومانسية بتعريف محدد جـامع ومانع. خاصة وأن هذا النمط في تاريخه الطويل، اتخذ اشكالاً وأبعاداً ومفاهيم تختلف اختلافاً واضحاً فيمـا بينها، إلا أن المحاولات الحديثة لإيجاد ما يمكن تسميته تعريفاً للرومانسية سلطت الضوء على طبيعة هذا المذهب وأبعاده، ومدى تميزه بين مجتمع وآخر، وبين شاعر وشاعر آخر، لأن هذا المذهب في حقيقته يعـاف القيـود والحدود، وهو يرتبط إلى حدٍ كبيرٍ بالفرد وذاتيته.[1] ولايخفى أن لكل فردٍ صفات ومقومات خاصة تميزه عن غيره من البشر. وبالتالي فلكل شاعرٍ قضاياه الخاصة المرتبطة بذاتيته وبخصائص هذه الذاتية والتي لابـد مـن الإعتراف في أنها خصائص تختلف من شاعرٍ إلى آخر.وقد أدلى معظم النقاد والكتـاب بـرأيهم في مفهـوم الرومانسية، فمنهم من يرى فيها جانب التجربة الذاتية بعيداً عن تجارب الآخرين وتمسكها بالعاطفة العميقـة الجامحة، وبالخيال الملحق بعيداً عن واقع الحياة ومعاناة البشر، ومأساة المجتمع. فمثل هذا الشاعر «يصدر عنـه شعر يمتلئ بالأسى والكآبة والحنين إلى المجهول، وتحس أن القصيدة من هذا النوع ترفع قناع الإلفة عن وجـه الكون، وتعرى الجمال النائم للناظرين، وتتعلق بالمدهش والمعجب والغريب، وتبتعد عن الواقع، على جناحين من الخيال الحر، الطليق وتبحث عن سر الحياة وكل هذه المظاهر إذا تحدث عنها الناس استعملوا اصـطلاح الرومانطيقية».[2]

وعلى الرغم من أن الرومانسية بحد ذاتها ترفض القيود في فنها، وقد ثارت على تلك القيود التي حدّت مِن حرية الحركة عند االشعراء القدامى، إمّا من حيث الشكل أو من حيث المضمون. إلا أنها امتازت بمعايير خاصة ومفاهيم معينة أضفت عليها طابعاً معيناً مثل «مرض العصر» والطابع القومي المحلـي، والخلـق والإبـداع، والتمسك بشيء من النغمة الخطابية، وبخاصة في الشعر الرومانسي العربي، لأن النغمة الخطابيـة في الشـعر الرومانسي الغربي تلاشت.

يرى الدكتور مندور، أن الشاعر من أصحاب هذا المذهب تنتابه حالةٌ نفسيةٌ تتولد عن عجز الفرد مـن التوفيق بين «القدرة والأمل» اللذين يتعارضان، فيشقى الفرد بهذا التعارض، ويُصـاب بحـالٍ مـن اليـأس

١- إحسان عباس: *فن الشعر*. دارالثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، لات، ص ٤٥.

٢- م. ن: ص ٤٥.

والإحباط، ويلازمه الشقاء فلايتخلص منه إلا بأحد أمرين «إمّا أن يغيّرَ الفرد من طبيعته، ويتخلص من آماله ورغباته، أو تغيّر الأشياء من طبائعها بحيث تستجيب لتلك الآمال والرغبات، ولما كان كلا الأمرين عَسيراً إن لم يكن مستحيلاً، فإن هذا الشقاء يصبح ضرورةً، يعبرون عنها بمرض العصر، ويتخذون الشعرَ وسيلةً لشكواهم، والأنين منه أو التمرد عليه».[1]

و بحكم الثورة الرومانسية على الأوضاع السائدة في المجتمع من ظلم و عسفٍ و قهرٍ، اتخذت منحى تصحيحياً لوضع المجتمع، و محاولة التخلص من الآفات التي سيطرت على هذا المجتمع والفروقات الشاسعة بين طبقات المجتمع، وتفرد الأرستقراطية المتسلطة أو الأقطاع السياسية والإجتماعية والدينية على الشعب وطبقتيه المتوسطة والمسحوقة، وهو ما دفع شعراء المذهب الرومانسي إلى الإنتفاضة العنيفة على الأوضاع الفاسدة السائدة في المجتمع. وبحكم تجربة شعراء هذا المذهب الرومانسي التي تنبع من ذاتية الشاعر ووجدانه فقد خالفوا من سبقهم «فمجدوا شأن العاطفة، وجعلوا حقوق القلب تطغى على قوانين المجتمع ونظمه، و لم يتحفظوا في مهاجمة ما استقر في المجتمع من عقائد سياسية أو دينية، فكان كل شيء في أدبهم موضعَ تساؤل، ولكنهم في شبوب عواطفهم وفي عالم أحلامهم ساعدوا على نشر العدل الإجتماعي، وهدموا الطبقات الطفيلية الأرستقراطية أو مهّدوا لمحوها، ويسروا الطريقَ أمام الطبقة البرجوازية لتملك مقاليد الحكم، وعطفوا على كثير من ضحايا المجتمع»[2]. و إن هذه المفاهيم التي ذكرناها ليست سوى محاولة لوضع أطر تقريبية للشعر الذي اتخذ منحى الثورة على المذهب الكلاسيكي.

١- محمد مندور: *محاضرات في الأدب ومذاهبه*. معهد الدراسات العربية العالية، لاط، لات، ص ٤٥

٢- محمد غنيمي هلال: *الرومانتيكية* ص ٢١.

د- مقارنة بين الكلاسيكية والرومانسية:

قبل أن نبدأ الحديث عن نشأة المذهب الرومانسي يجب علينا أن نبيّن أسس الإختلاف بين الكلاسيكية والرومانسية لأنها توصف عادة بكونها ردّ فعل ضدّ الكلاسيكية وتعد المبادئ الرومانسية في جملتها معارضةً للمبادئ الكلاسيكية كما يتضح ذلك بمقارنتهما في أسسهما العامة:

١- إنّ الأدب الكلاسيكي يقوم على العقل ولهذا وصف بأنّه أدبٌ عقليٌ وليس معنى ذلك أنه كانت تعوزه المعاني العاطفية والعناصر الفردية، إذ طالما حللت فيه العواطف تحليلاً نفسياً دقيقاً يفوق أحياناً نظيره في العصر الرومانسي. هذا إلى ما كان في الشعر الوجداني فيه ــ على قتله ــ من فيض الشعور والإحساس؛ ولكن العواطف والمشاعر الكلاسيكية كانت خاضعةً كلَ الخضوع للعقل الذي لم يكن ليدع مكاناً لجموح العاطفة وجيشانها. فكانت الخواطر تمر في مجال التفكير لتصفى وتهذب حتى تخرج منطقية هادئة غير مشبوبة فليس للشاعر ولا للكاتب أن يطلق العنان لإحساسه ومشاعره، لأنها في جوهرها فرديةٌ محضةٌ، بل عليه ألايسجل منها إلّا ما هو عامٌ مشتركٌ بين الناس، كما يقتضيه الفكر والمنطق.[١]

٢- الأدب الرومانسي أو الرومانتيكي يقوم على العاطفة والشعور والخيال ويجحد سلطان العقل، ويتوج مكانه العاطفة والشعور، ويسلم القياد إلى القلب الذي هو منبع الإلهام، والهادي الذي لايخطئ، لأنه موطن الشعور ومكان الضمير.[٢]

ثم يتحدث الدكتور إحسان عباس، عن الفروق بين الأديبين الكلاسيكي والرومانسي ويعتقد بأنّ الخيال هو أهم ما يفرّق الأديبين الكلاسيكي والرومانسي. فيقول: الرومانسي يوغل في خيال مجنَّحٍ واهمٍ، يخترق به أقطار العالم المحسوس إلى دنيا جديدةٍ؛ ويحلق بين الذكريات والأمل، ويتملّكه الحنين للإختفاء من عالم الحقيقة، ويتّجه بحنينه هذا إلى المجهول.

أمّا الكلاسيكي، فأنه دائماً مخلصٌ لطبيعة الحياة، راضٍ بمواصفاتها، يحب اللياقة ــ أو مراعاة المقام ــ ويحرص عليها. والخيال الكلاسيكي ليس حراً في أن يطير أو ينطلق في عالم الأحلام، وإنما هو خيالٌ مركزيٌ مجنّدٌ في خدمة الواقع.[٣]

١- محمد غنيمي هلال: *الرومانتيكية* ص ٨-٩

٢- م. ن: ص ١١.

٣- *فن الشعر*: ص ٤١

٣- كان الأدب الكلاسيكي، أدباً أرستقراطياً في موضوعه وبنيته وإيقاعه الموسيقى، فأضحى مع الرومانسيين بورجوازياً، سهلاً بسيطاً قريب المنال من القارئ المتوسط، فاتن الجرس الموسيقى لهذه التنويعات التي أدخلها عليه أدباؤه الكبار، أمثال لامرتين الذي أدخل فيه التناغم «Harmonie» أو هيجو الذي حافظ على هذا التناغم مضيفاً إليه الشكل واللون.[١]

٤- الرومانسية تنبع من التلقائية _ Spontanéité _ في التعبير، فهي ذاتيةٌ، تقدّس البدائية والسذاجة. بينما تقوم الكلاسيكية على النقل والمحاكاة، فهي موضوعيةٌ معتدلةٌ.

٥- الرومانسية تتزع بشدة إلى الثورة، وتتعلق بالمطلق واللامحدود، بينما يؤمن الكلاسيكي بمحدودية طاقته، وأن التقاليد تحتوي على جوانب حسنة جميلة.

٦- وإذا كان الشاعر الكلاسيكي متصلاً بالأرض مهما وثب وقفز بعيداً، فإنّ الرومانسي يلحق في طيرانه بالأثير، ومجازاته، في أكثرها. حتى أن كلمة «مطلق أو انطلاق» ترد في كل بيتٍ من شعره، في غالب الأحيان.[٢]

٧- إذا كان الأدب الكلاسيكي عقلياً فمن الطبيعي أن ينصرف إلى البحث عن الحقيقة في معناها العام الذي يتعرف عليه الناس جميعاً لذلك العهد ويؤمنون به، متجنباً متاهات المشاعر الفردية والأخيلة الجامحة التي تقود إلى الخروج على المألوف، أو تمس مااصطلح عليه من التقاليد والعادات. وبينما قد ثار الرومانسيون على ماجعله الكلاسيكيون غايتهم من البحث عن الحقيقة على نحو ما سبق؛ إذا الرومانسيون رائدهم هم القلب وغايتهم البعث عن مواطن الجمال. والجمال وحده عندهم مرآة الحقيقة التي ينشدون.[٣]

٨- كان الأدب الرومانسي، أدب تمرّدٍ وتحرّرٍ فقد تحرّر الرومانسيون من جميع الأنظمة والقواعد والقوانين والأحكام السائدة في المجتمع وراحوا ينشدون الحريّة الفكرية والأخلاقية والإنعتاق اللانهائي. ومع هذا التمرّد والتحرّر كان يوجد بناء لعالمٍ جديدٍ، قوامه الحقّ والخير والعدل والمساواة والحريّة، وهدم للطبقة الأرستقراطية وتمهيد الطريق للطبقة البرجوازية لتمتلك مقاليد الحكم.[٤]

١- ياسين الأيوبي: *مذاهب الأدب (معالم وانعكاسات)*. ص ٢٢١.

٢- إحسان عباس: *فن الشعر*. ص ٤٠-٤١.

٣- محمد غنيمي هلال: *الرومانتيكية*. ص ١٢-١٣.

٤- شفيق البقاعي: *أدب عصر النهضة*. دارالعلم للملايين، بيروت، لاط، ١٩٩٠م، ص ٢٢١.